[٥٢-٥٣] يسلي جل وعلا نبيه ﷺ فيقول له: وكما كذبك قومك يانبي الله واتهموك بالسحر والجنون؛ فكذلك فعلت الأمم السابقة مع أنبيائهم. فهل ياترىٰ أوصىٰ الكفار السابقون الكفار اللاحقين أن يقولوا لكل رسول يأتيهم: أنت ساحر ومجنون؟! الحقيقة أنهم لم يتواصوا بذلك؛ ولكن حملهم علىٰ ذلك الكفر والطغيان والتكذيب وتجاوز الحد، وكرههم لتغيير ما هم عليه.

[٥٤-٥٥] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يعرض عن هؤلاء المكذبين المفترين، وأن لا يبالي بهم، لأنه أدَّىٰ ما عليه؛ حيث بلغ الرسالة وأدىٰ الأمانة ونصح الأمة، ولهذا فإنه لا يلحقه لوم من أحد. ثم أمره أن يعظ بهذا القرآن من آمن به واتبعه، فإن قلوبهم تلين لذلك، فبالتذكير والموعظة ينتفع أهل الإيمان، ومن يرد الله به خيرًا يهديه ويصلح قلبه ويرشده لاتباع هذا القرآن العظيم.

[٥٦] يخبر جل وعلا أنه ما خلق الثقلين الإنس والجن إلا ليأمرهم بعبادته وحده لا شريك له، ثم يجازيهم علىٰ أعمالهم؛ فمن عمل خيرًا فجزاؤه الجنة، ومن عمل شرًّا فإنه يعذب بالنار.

قال الشيخ العلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان: التحقيق في معنىٰ هذه الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: إلا لآمرهم بعبادتي، وأختبرهم بالتكاليف، ثم أجازيهم علىٰ أعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر. **وقال الشيخ البسام**: التحقيق في قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، أي: لأطلب منهم عبادتي، فأجازي المحسن، وأعاقب المسيء.

[٥٧-٥٨] ثم بين سبحانه أنه لا يريد من خلقه رزقًا، بل لم يطلب منهم أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم، ولا يريد منهم أن يطعموه سبحانه، لأنه هو الرزَّاق المتكفّل بأرزاق جميع المخلوقات، صاحب القوة المتين الذي له القوة والقدرة كلها، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

[٥٩] واعلموا أيها الناس أن للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وبتكذيب محمد ﷺ نصيبًا من العذاب مثل نصيب من سبقهم من الأمم الكافرة، فلا يتعجلوا نزول العذاب بهم، فإنه آتيهم لا شك ولا ريب في ذلك.

[٦٠] ثم أخبر جل وعلا في ختام السورة بالهلاك والشقاء الأبدي الذي ينتظر هؤلاء الذين كفروا بالله وكذبوا رسوله ﷺ يوم القيامة؛ ذلك اليوم الذي وعدهم الله فيه بالعذاب والنكال والخزي والبوار.

سورة الطّور

سورة الطور مكيّة وآياتها تسع وأربعون آية.

[١] أقسم جل وعلا بعدد من مخلوقاته فأقسم بالطور، وهو الجبل المبارك الذي تمت عنده مكالمة موسىٰ عليه السلام لربه.

[٢-٣] ثم أقسم سبحانه بالقرآن العظيم المكتوب علىٰ الجلد الرقيق، المبسوط، والظاهر لكل أحد ينظر إليه.

[٤] ثم أقسم سبحانه بالبيت المعمور الذي تعمره الملائكة بالطواف فيه.

[٥] ثم أقسم سبحانه بهذه السماء العالية المرتفعة.

[٦] ثم أقسم سبحانه بالبحر المشتعل نارًا يوم القيامة.

[٧-٨] ثم جاء جل وعلا بجواب القسم فأخبر سبحانه أن عذاب ربك يانبي الله حاصل لا محالة لمن يستحقه من الكافرين المكذبين بالرسل، لا يدفعه عنهم دافع، ولا يجدون عنه مهربًا.

[٩] واعلموا أيها الناس أن هذا العذاب واقع في ذلك اليوم الذي ترتجّ فيه السماء ويختل نظامها وتضطرب اضطرابًا شديدًا من هول ذلك اليوم.

[١٠] وفي ذلك اليوم أيضًا تزول الجبال عن أماكنها وتسير عن مواضعها كسير السحاب.

[١١-١٢] ثم أخبر سبحانه أن الهلاك والشقاء في ذلك اليوم علىٰ المكذبين بالحق؛ الذين عاشوا حياتهم في لهو ولعب بالباطل، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا.

[١٣] ثم بين سبحانه أن المكذبين يُدفعون في ذلك اليوم إلىٰ النار دفعًا عنيفًا.

[١٤] ثم يقال لهؤلاء المكذبين علىٰ سبيل التوبيخ والإهانة: هذه هي النار التي كنتم تكذبون بها وتسخرون منها.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾
يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ثم يقال لهؤلاء الكفار على سبيل التوبيخ: هل هذه النار وهذا العذاب الذي تشاهدونه هو من قبيل السحر؟ كما كنتم تقولون في الدنيا لرسل الله ولكتبه: هذا سحر، أم أنكم عمي عن هذا كما كنتم عميًا عن الحق في الدنيا؟. فاعلموا أن هذا العذاب حقيقة وليس سحرًا.

[١٦] ثم يقال لهم: ادخلوا النار، وقاسوا حرَّها وشدتها، وصَبْرُكم عليها وعدمه سواء، ولا خلاص لكم من العذاب جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والتكذيب والمعاصي.

[١٧-١٨] ولما وضح جل وعلا حال المجرمين ذكر حال المؤمنين المتقين الذين اتقوا ربهم في الدنيا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه؛ حيث أخبر سبحانه أنه يجازيهم بجنات يتنعمون فيها. ثم أخبر سبحانه أنهم يتلذذون ويتفكهون بما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فرحين مسرورين أن الله نجاهم من عذاب النار.

[١٩] ثم يقال لهؤلاء المتقين وهم في الجنة - على وجه التكريم -: كلوا واشربوا ما يطيب لكم، هنيئًا دون تنغيص ولا كدر؛ بسبب ما كنتم تعملونه من التوحيد والأعمال الصالحة.

[٢٠] ثم بين جل وعلا بعض ما يتنعمون به في الجنة؛ فأخبر أنهم متكؤون في جلوسهم مرتاحون على أرائك مزينة بأنواع الزينة، مصفوفٌ بعضها إلى جنب بعض، وأخبر سبحانه أنه زوجهم بزوجاتٍ من الحور العين وهنَّ نساءٌ جمعن كل صفات الجمال والحُسْن الظاهرة والباطنة، أعدهن الله لعباده المؤمنين المنعَّمين في جنات النعيم؛ إضافة إلى زوجاتهم في الدنيا اللواتي جعلهن الله أحسن من الحور العين.

[٢١] ثم أخبر جل وعلا أن هؤلاء المؤمنين الذين دخلوا الجنة، واتبعتهم ذريتهم بإيمان؛ فقد أنعم الله عليهم وأتمم نعيمهم بأن ألحق بهم محبيهم من ذريتهم المؤمنين إكرامًا للآباء، وإن لم يبلغوا مراتب آباءهم بأعمالهم، ثم بين سبحانه أنه ما أنقص الآباء من أجور أعمالهم شيئًا، وبين أن كل امرئ مرهون ومحبوس بعمله، يُجْزى به.

[٢٢-٢٣] ثم بين جل وعلا جانبًا آخر من نعيم أهل الجنة؛ فأخبر أنه زودهم بما يشتهون من فاكهة لذيذةٍ، ولحم طيب، ومن كل ما اشتهته أنفسهم وطلبته. وأنهم يتعاطون فيما بينهم كؤوس الخمر، ويناول بعضهم بعضًا إيَّاها، فيزداد بذلك أنسهم ونعيمهم، غيرَ أن خمر الجنة ليست كخمر الدنيا، فهي لا تذهب العقل، ولا تغطيه؛ فلا يجري بينهم لغوٌ وكلامٌ باطلٌ كما يحصل لمن يشربون خمر الدنيا مع أنها يحصل بها نشوة ولذة.

[٢٤] ثم بين جل وعلا جانبًا آخر من نعيم أهل الجنة؛ فأخبر أنه يطوف عليهم شبابٌ فتيانٌ يخدمونهم، ويناولونهم الطعام والشراب، كأنهم من حسنهم وبهائهم لؤلؤٌ مصونٌ في أصدافه، لم تمسُّه الأيدي، ووجه الشبه هو صفاء البشرة والنعومة.

[٢٥-٢٦-٢٧-٢٨] وبعد وصف النعيم الذي هُيِّئَ لهم أخبر جل وعلا أنهم يسألون بعضهم البعض؛ فيقولون: إنا كنا في دار الدنيا بين أهلنا وجلين خائفين من ربنا، مشفقين من عذابه وعقابه؛ فتفضل الله علينا وأجارنا من عذاب سموم جهنم الحار الشديد الحرارة. ثم قالوا: إنا كنا من قبل نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئًا، ونتضرع إليه أن ينجينا من عذاب النار وسمومها، إن ربنا هو البرُّ كثير الإحسان واللطف بنا، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء.

[٢٩] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يُذَكِّرَ قومه بهذا القرآن العظيم، وأن لا يكترث بما يقولون، فأنت بنعمة الله عليك بالنبوة ورجاحة العقل لست كاهنًا يخبر بالغيب، أو مجنونًا لا يعقل ما يقول، كما يزعمون؛ فعليك الاستمرار في دعوتك، واثبت على ما أنت عليه من التذكير والوعظ والإرشاد، ولا يثنيك كلامهم بأنك مجنون أو ساحر أو كذاب.

[٣٠] ثم أنكر جل وعلا على هؤلاء المشركين المعاندين ما يقولون في محمد ﷺ أنه شاعر، وأنهم ينتظرون أن تصيبه حوادث الدهر من الموت والفناء، وينتهي ما جاء به، وما يدعو إليه.

[٣١] فقل يانبي الله لهؤلاء المشركين: انتظروا موتي وفنائي، وأنا أنتظر عاقبة أمري وأمركم، وستعلمون لمن تكون له العاقبة، وعلى من يتنزل النصر، ومن الذي يصيبه العذاب.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ
بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ
أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟
يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سورة النجم

[٣٢-٣٤] ثم وبخ جل وعلا هؤلاء المشركين فقال: هل حقًّا أمرتهم عقولهم - التي زعموا سلامتها - بهذه الأكاذيب والافتراءات؟!؛ أم أنهم قومٌ طاغون مجاوزون لحدودهم في الكفر والتكذيب والافتراء؟!. أم أنهم يقولون: إن محمدًا اختلق هذا القرآن واخترعه من قبل نفسه؟! وسبب هذه الفرية: هو كفرهم وجحودهم، وعدم إيمانهم بالله وتعلقهم بما وجدوا عليه آباءهم. فإن كان هؤلاء المشركون صادقين في قولهم: إن محمدًا اختلق هذا القرآن من عند نفسه، فعليهم - وهم الفصحاء البلغاء - أن يأتوا بحديث مثله، وهذا تحدٍّ وتعجيزٌ لهم، وإظهار لبطلان افترائهم وكذبهم.

[٣٥] ثم انتقل سبحانه إلىٰ توبيخ آخر فقال: هل خرج هؤلاء لهذه الحياة بهذا الجمال وهذا التكامل فجأة من غير مبدع صورهم فأحسن صورهم، كما يقول الدهريون أو الطبيعيون؟، أم أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم علىٰ هذا النمط الكامل الحسن؟.

[٣٦] ثم انتقل جل في علاه إلىٰ توبيخ آخر فقال: هل خلق هؤلاء السماوات والأرض؟ لأنه لا يمكن لعاقل أن يقول: هما من خلقي، ولكن حقيقة هؤلاء أنهم ليسوا علىٰ يقين بوجود ربهم.

[٣٧] ثم استمر جل وعلا في توبيخهم فقال: هل عند هؤلاء المشركين مفاتيح خزائن ربك من النبوة والرزق؛ فيعطون من شاؤوا ويمنعون من شاؤوا؟! أم هم المتسلطون علىٰ خلق الله وملكه بالقهر والغلبة؟

[٣٨] ثم وبخهم سبحانه فقال: أم لهم سلَّمٌ يرقِّيهم إلىٰ السماء فيسمعون كلام الملائكة ويطلعون به علىٰ الغيب؟! فليأتِ من استمع منهم إلىٰ شيء من ذلك بحجة واضحة بينةٍ تشهد له.

[٣٩] ثم وبخهم سبحانه فقال: أم لله البنات؟ كما يزعمون افتراءً وكذبًا، ولهم البنون؟ وهذا تسفيه منه سبحانه لأحلامهم، وتضليل لعقولهم، فوبخهم سبحانه لأنهم جعلوا القسم المحتقر لديهم لله.

[٤٠] ثم وبخهم سبحانه فقال: هل تسألهم يانبي الله أجرًا مقابل تبليغك إياهم رسالةَ ربك؟! فهم من التزام هذا الأجر مُثقلون مُجهَدون مُتعَبون؟!

[٤١] وتوبيخ آخر حيث قال سبحانه: هل يدعي هؤلاء أنهم يعلمون الغيب، فهم يكتبون للناس ذلك ويخبرونهم به؟! وأنَّىٰ لهم ذلك؟!

[٤٢] واستمر جل في علاه في توبيخهم فقال: هل يريدون بتكذيبك والافتراء عليك يانبي الله أن يقدحوا فيك؛ ليُفسدوا دعوتك؟! فكيدهم ومكرهم راجع إليهم، وضرره عائد عليهم، وهم المغلوبون المهزومون.

[٤٣] ثم وبخهم سبحانه أيضًا فقال: هل لهم إله يستحق العبادة غير الله؟ فتنزه وتقدس الله عما يشركون به من الأوثان والأصنام.

[٤٤] ومن شدة فجور هؤلاء المشركين وطغيانهم أنهم: إذا رأوا قطعًا في السماء متجهة إلىٰ الأرض عذابًا لهم، يقولون: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض، أي: أنهم مهما رأوا من الآيات الدالة علىٰ عظمة الله مثبتةً لوجوده يؤولونها لانغلاق عقولهم وعمىٰ بصائرهم.

[٤٥] ثم أمر جل وعلا رسوله ﷺ أن يترك هؤلاء المشركين ويدعهم وشأنهم، ولا يكترث بهم؛ حيث دعاهم فأصروا علىٰ الكفر، حتىٰ يأتي اليوم الذي فيه يهلكون، ثم يجازون فيه بسيئات أعمالهم وهو يوم القيامة، وهذا فيه تسليه له ﷺ، وليس فيه منعه من التذكير والدعوة، ولكن منعه من الحزن عليهم.

[٤٦-٤٧] وفي ذلك اليوم الذي فيه يصعقون لا ينفعهم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا، ولن يجدوا ناصرًا ينصرهم من عذاب الله في الآخرة. ثم أخبر سبحانه بأن لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي عذابًا في الدنيا غير عذاب يوم القيامة، ولكن أكثرهم لا يعلمون ما أعده الله لهم في الدنيا والآخرة.

[٤٨-٤٩] ثم أمر جل وعلا نبيه ﷺ أن يصبر علىٰ أذىٰ هؤلاء المشركين ولا يبالي بهم، وأن يمضي لأمر الله ونهيه، وأن يبلغ ما أرسل به، فإنه بمرأىٰ منه سبحانه يراه ويرىٰ أعماله، ويحوطه ويحفظه، ثم أمره أن يستعين علىٰ الصبر بأن ينزه ربه عما لا يليق به، وذلك بأن يسبحه حين يقوم من منامه أو من مجلسه أو حين يقوم للصلاة، وأن يكثر تسبيحه والصلاة له في بعض الليل، وعند إدبار النجوم من آخر الليل وقبل صلاة الفجر.